



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ما كان الرفق في شيء إلا زانه

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۱﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70، 71]... أما بعدُ ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

أيها المسلمون نتكلم في هذه الخطبة عن خلق حميد ، صورة من صور الرحمة يضعها الله في قلب العبد ، سبب لأن يحب الناس بعضهم بعضاً ، خلق يمن الله به على من يشاء من عباده ، خلق أمر الله تعالى بالتحلي به ، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. (فصلت: 34) ، فهل عرفتموه إنه الرفق أيها المسلمون ، إنه التلطف في الأمور، الأخذ بالأسهل والدفع بالأخف ، والبعد عن العنف والشدة والغلظة ، ذاك الخلق الذي تخلق به المصطفى صلى الله عليه وسلم ودعا للتخلق به فقال صلى الله عليه وسلم ( ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه ) ( صحيح الجامع 5654 ) ، ورغب صلى الله عليه وسلم في هذا الخلق فقال ( من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير ) رواه الترمذي بسند حسن صحيح ، وبين صلى الله عليه وسلم عظم أجر خلق الرفق فقال ( إن الله رفيقاً يحب الرفق ، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وعلى ما سواه ) مسلم

والمسلم برفقه ولينه يصير بعيداً عن النار، ويكون من أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم (حُرِّمَ عَلَى النَّارِ : كُلُّ هَيْبٍ لَيْنٍ سَهْلٍ ، قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ ) صححه الألباني : صحيح الجامع 3135.

و الرفيق الرحيم أحق الناس برحمة الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم ( الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ) صحيح الجامع 3522

والرفق واللين يكون في كل الأمور التي تقتضي الرفق قال صلى الله عليه وسلم ( إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله ) رواه البخاري.

يكون الرفق أيها المسلمون في العلاقات الأسرية مع الأهل وذوي الرحم قال صلى الله عليه وسلم ( إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ) رواه أحمد وصححه الألباني .

وقال صلى الله عليه وسلم ( ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم ولا منعهو إلا ضرهم ) السلسلة الصحيحة / الألباني 942

يكون الرفق مع النساء قال صلى الله عليه وسلم ( استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء ) البخاري ومسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم ( أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خيارهم لنسائهم ) أحمد وأبي داود والترمذي .

وقالت عائشة رضي الله عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل شيء منه قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى). رواه مسلم.

يكون الرفق مع الصبيان والعيال ، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدي على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: (اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما) رواه البخاري ، وقال صلى الله عليه وسلم ( ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا ) صحيح الجامع 5444

يكون الرفق مع الناس لا يعاملهم بشدة أو عنف أو جفاء، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أبعد ما يكون عن الغلظة والشدة، قال تعالى: {ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك} آل عمران: 159

وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أوصني؟ فقال له: (لا تغضب) (البخاري)

والمسلم لا يُعير الناس بما فيهم من عيوب، بل يرفق بهم، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك (أي: يصيبك بمثل ما أصابه) (الترمذي)

والمسلم لا يسب الناس، ولا يشتمهم، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق عليه

أيها المسلمون يكون الرفق كذلك مع الأجراء ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا). رواه مسلم. وأمر صلى الله عليه

وسلم من عنده خادم أن يطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما لا يطيق، فإن كلفه ما لا يطيق فعليه أن يعينه. يقول صلى الله عليه وسلم في حق الخدم: (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعيقه (يجعله حرًا)) مسلم

يكون الرفق مع المعسر، الذي لا يجد وفاءً، وليس بمماطل، ولكنه قلة ذات اليد، قال الله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرٍ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لمن رفق بالمعسر فقال (رحم الله امرئ سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى) ، وورد في فضل من رفق بالمعسر قوله صلى الله عليه وسلم (حوسب رجل مما كان قبلكم فلم يوجد عنده خيرًا، وكان رجلاً يخالط الناس، وقد أغناه الله؛ فكان يقول لغلمانه: تجاوزا عن المعسر، قال الله: "نحن أحق بالتجاوز منه، تجاوزوا عنه"؛ فتجاوزوا عنه)

يكون الرفق بالجاهل، قال أنس رضي الله عنه: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه، مه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تُزرموه، دعوه))، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقدر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن)) رواه الترمذي بسند صحيح.

يكون الرفق من الإمام في الصلاة، قام رجل فقال: يا رسول الله، لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي في موعظة أشد غضبًا من يومئذ، فقال: ((أيها الناس، إن منكم لمنفرين، فمن صلى بالناس فليخفف؛ فإن فيه المريض والضعيف وذا الحاجة)) رواه البخاري، وفي الحديث عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، وأسمع بكاء الصبي فأتجوّز؛ مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)) رواه البخاري.

يكون الرفق بالحيوانات فلا يجوز تعذيب الحيوانات والطيور وكل شيء فيه روح، ولما مرَّ أنس بن مالك على قوم نصبوا أمامهم دجاجة، وجعلوها هدفًا لهم، وأخذوا يرمونها بالحجارة، فقال أنس: نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُصبرَ البهائم (أي تحبس وتعذب وتقيد وترمي حتى الموت). مسلم

ومرَّ ابن عمر -رضي الله عنه- على فتیان من قریش، وقد وضعوا أمامهم طيرًا، وأخذوا يرمونه بالنبال، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال لهم: مَنْ فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا (هدفًا يرميه). مسلم

ومن الرفق بالحيوان ذبحه بسكين حاد حتى لا يتعذب، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم (أي: في الحروب) فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُجدَّ أحدكم شفرته (السكين التي يذبح بها)، وليُريح ذبيحته) متفق عليه

وقال صلى الله عليه وسلم (من رحم ولو ذبيحة رحمه الله يوم القيامة) صحيح الأدب المفرد

وقال صلى الله عليه وسلم (من رحم ولو ذبيحة عصفور، رحمه الله يوم القيامة) حسنه الألباني

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه قد غفر لرجل؛ لأنه سقى كلباً كاد يموت من العطش. بينما دخلت امرأة النار؛ لأنها حبست قطعة، فلم تطعمها ولم تسقيها حتى ماتت.

يكون الرفق مع غير المسلمين أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعض اليهود وقالوا: السام عليك: - يعني الموت - قال: (وعليكم)، وسكت؛ فقالت عائشة: (وعليكم لعنت الله وغضبه، يا إخوان القردة والخنازير؛ فقال: مه يا عائشة، قالت: أما سمعت ما قالوا لك، قال: أما سمعت ما قلت لهم يستجاب لنا عليهم، ولا يستجاب لهم علينا، يا عائشة، ما وضع الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع الرفق من شيء إلا شانه).

أيها المسلمون إن صورة الشديد الغليظ، الغاضب العنيف، صورة مشينة معيبة تنفر منها الطباع البشرية، بينما صورة السهل الرقيق، اللين اللطيف، صورة تزين صاحبها، وترتاح إليها النفوس، وتأنس إليها القلوب، (والله رقيق يحب الرفق، ويرضاه، ويعين عليه ما لا يعين على العنف) البخاري.

فكونوا من أهل الرفق يرفق الله سبحانه بكم يوم القيامة فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به) مسلم

أيها المسلمون ليس معنى الرفق واللين عدم إنكار المنكر، بل ينكر المنكر ويؤمر بالمعروف ولكن بالرفق، ليس معنى الرفق بالزوجة والولد أن تترك لهم الحبل على الغارب يفعلون ما يعضب الله وتسكت مدعيًا الرفق، بل الرفق أن توجههم للحق وتحملهم عليه وترغبهم فيه وتشجعهم على فعله وتتابعهم. الرفق أن ترفق بالناس أن يقعوا في معصية الله عز وجل فيكون ذلك سبباً لحلول عقوبة الله ونزولها. الرفق أسلوب حيث يغني الرفق ويحقق الغرض، وذلك باستنفاد جميع الوسائل الممكنة التي تضمن الاستجابة، ولا تستعدي الآخرين

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

**الخطبة الثانية:** الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلازمين إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].